

اسم المادة: مع النفس

من سلسلة: وقفات تربوية مع السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: مع النفس
من سلسلة: وقفات تربوية مع السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بخير وإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات، ومرحباً بكم ولقاء جديد نتوقف فيه وقفة تدبرية تربوية مع سنة الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم–.

أبدأ لقاءنا لهذا اليوم بهذا الحديث عن عائشة –رضي الله عنها–: "أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَلَّى في خَمِيصَةٍ لَهَا أعْلَامٌ، فَنَظَرَ إلى أعْلَامِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ قالَ: اذْهَبُوا بخَمِيصَتي هذِه إلى أبِي جَهْمٍ وأْتُونِي بأَنْبِجَانِيَّةِ أبِي جَهْمٍ، فإنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عن صَلَاتي، وقالَ النبيُّ –صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ–: كُنْتُ أنْظُرُ إلى عَلَمِهَا، وأَنَا في الصَّلَاةِ فأخَافُ أنْ تَفْتِنَنِي"[1]، هنا يعني هذا الحديث يعني على الرغم إنه هو مشهور ومتداول في أبواب الفقه وله طبعاً الكثير من الفوائد وله الكثير من المسائل المستخلصة منه، لكن الحقيقة هو شد نظري جداً وحبيت إن أنا أقف معاه نظرة تربوية تدبرية، الموقف كالآتي: صحابي جليل اسمه أبو جهم أهدى النبي –صلى الله عليه وسلم– خميصة –يعني قميص زي القميص اللي أنا لابسه كده– لكن كان القماش الذى صنع منه هذا القميص كان له أعلام، أعلام يعني إيه؟ يعني مخطط زي ما احنا بنقول بالدارج، فالنبي –صلوات الله عليه– عندما صلى في هذا القميص نظره وقع على هذه الأعلام؛ الخطوط دي شغلت نظر النبي –صلى الله عليه وسلم– فهذا الأمر استدعى الانزعاج، حالة انزعاج لدى النبي –صلى الله عليه وسلم– أن مجرد هذه الالتفاتة بنظره –صلوات الله عليه–كانت مما يخدش كمال خشوعه في صلاته، تمام؟ فأمر بإعادة هذا الثوب يعني تطييبًا لخاطر هذا الصحابي الذي أهداه هذه الهدية تطييبًا لخاطره يعني طلب منه ثوبا آخر لا يكون فيه هذه النُقْش، طيب إيه الوقفة اللي أنا عايز أقف معاها؟

الحقيقة الجزئية الأولى المؤمن عليه أن يحرص على قلبه أيما حرص، وأن يكون على يقظة وانتباه، فلا يورد نفسه الموارد التي تجعله في حال من الغفلة أو حال من نقص انتباهه وإقباله وخشوعه على عبادته، والبعد عن مواطن الغفلة فضلا عن مواطن المعاصي، لابد أن يكون منهجية لدى الإنسان المؤمن. يعني في موقف آخر النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما كان عائداً بالجيش من غزوة خيبر فأمر الصحابي الجليل بلال بن رباح قال له اكلأ لنا الشمس أو يعني ارقب لنا الفجر فالذي حدث أن سيدنا بلال مع الإرهاق والسفر طبعا الجيش كان نائم وهو كان في حال الانتظار ولكن غلبته عينه فلم يستيقظ، النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا بلال ولا أي أحد حتى ضربتهم الشمس، يعني الشمس

[1] صحيح البخاري



أشرقت ويعني كان نور الشمس وسطوع الشمس سبب في استيقاظهم. قال الراوي فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أولهم استيقاظا ففزع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال يا بلال يعني ماذا حدث فقال أخذ بنفسي الذى أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فإيه أول شيء أمرهم به النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ قال: "تحوَّلوا عن مكانِكم الذي أصابَتْكم فيه الغفلةُ"[٢]. يعني شوف هذا الملمح التربوي كان ممكن يكون هناك استدراك للصلاة الفائتة ويصلوا في مكانهم، لكن أول شيء علمهم النبي –صلى الله عليه وسلم– لن نمكث في هذا المكان الذي أدركتنا فيه الغفلة –سبحان الله–، يا ترى فيه كام موقف في حياتنا نحن نتعرض فيه للغفلة؟ كام موقف في حياتنا إحنا بنتعرض فيه ليس للغفلة بل نتعرض فيه لما هو أعلى من هذا ويكون بابا مشرعا من أبواب الفتن؟ المؤمن عليه أن يكون على مثل هذه اليقظة، أنت في المكان الفلاني الموقف الفلاني الحالة الفلانية الهيئة الفلانية بتورد عليك الغفلة لا تسترسل دا انت المفترض يكون عندك مثل هذا الحس ومثل هذا الاستيقاظ. لابد أن يكون هناك هذه الدرجة العالية من الانتباه، أنت انتبهت إن أنت لما بتكون في المكان الفلاني أو على الهيئة الفلانية في الموطن الفلاني بتُصاب بالغفلة؛ تلقائياً لابد أن تفهم من فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– أنك مطالب بأمر الشرع ألا تعرض نفسك للغفلة. مثال: إحنا دلوقتي مما عمت به البلوى مسألة انتشار وسائل التواصل الاجتماعي انتشار مسألة الدخول على النت والكلام ده، قديما عشرة خمستاشر عشرين سنة كده ماكانش الكلام ده موجود ورغم ذلك كان برضه فيه غفلة بحاجات تانية، لكن هذه الغفلة الحديثة زادت جدا يعني انت دلوقتي محاصر، انت معاك بس في التليفون بتاعك معاك كل حاجة، كل حاجة داخلة عليك، أنت بقى بنفسك جربت عندما تستسلم لجلوسك على هذه الآلة تلقائياً بتلاقي وقتك ضاع بتلاقي عبادتك بتضيع، بتلاقي إقبالك على ربنا بيضيع يبقى إذًا ده موطن غفلة، لقطت ده لابد إن أنت تلقائياً تبتعد عن هذا الموطن أو إن أنت تعدل من تعاملك مع هذه التقنية الحديثة هذه النازلة اللي نزلت بالبشر، تعدل تعاملك معاها بحيث إن هي متأثرش على قلبك ولا تأثر على عبوديتك. مش هتقدر ابتعد عنها ابتعد عن مواطن الغفلة دي منهجية.

الوقفة الأهم عندي في الحديث هو إزاي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– انزعج جدًا من أمر في حياتنا في منتهى البساطة، يعني انت متخيل درجة انزعاج النبي –صلى الله عليه وسلم– من مجرد بس وجود خط؛ خط في الثوب، كان وجود هذه الخطوط بس سبب في أن النبي –صلى الله عليه وسلم– استشعر أن هذا يخدش كمال الخشوع وكمال الإقبال على الله –سبحانه وتعالى–. سبحان الله، ده أمر محتاج لتأمل يعني تعالى قارن كده حال أي إنسان منا عندما يدخل للصلاة، يا ترى فيه كم أو اد إيه من الملهيات اللي بتصرف الإنسان عن خشوعه وكمال إقباله على الله –سبحانه وتعالى–؟ يا ترى انت لو دخلت للصلاة وبعد ما خلصت الصلاة يا ترى مش هقولك فيه إيه اللي لهاك عن الصلاة، دا إحنا ممكن سؤال عكسي ياترى أنت أدركت اد ايه من الصلاة أصلا؟ يعني انت لو جيت كده وقفت على باب جامع وانتظرت الناس الخارجين من المسجد ونسأل بس كل واحد على انفراد كده انت ركزت في اد ايه من صلاتك؟ كام في الميه؟ هتلاقي كتير جدا من الناس بيقولك والله –سبحان الله– أنا قولت الله أكبر مفوقتش إلا وأنا بقول السلام عليكم ورحمة الله، شوف التفاوت الرهيب بين حالنا وبين حال النبي –صلوات الله عليه–، مجرد بس التفاتة عابرة اعتبر هذا فيه قدح في كمال خشوعه وكمال إقباله على الله –سبحانه وتعالى–.

يبقى هنا ده من الأشياء اللي محتاجة منك تدبر، إن أولا الموقف في حد ذاته عايز وقفة، ثانياً حال قلبك عايز وقفات. يعني القلب اللي بلغ درجات عالية في منازل العبودية اللي بلغ حاله في عبادات الله –سبحانه وتعالى– إنه أخد درجات عالية من كمال الإقبال وكمال الأداء هذا القلب يصير حاله أنه كتلة من البياض لا تكاد تجد فيه شيء من السواد، هذه الكتلة المتجانسة من البياض أقل نقطة سوداء بتؤثر فيه. الثوب

[٢] صحيح الجامع



الأبيض –زي اللي أنا لابسه كده– لو جت عليه نقطة حبر سودة نقطة صغيرة كده انت من بعيد هتلقط النقطة السودة دي، طب لو هذا الثوب متسخ يا ترى لو أضفيت إليه نقطة على ما عليه حاله من هذا التغير يا ترى هتأثر؟ مش هيبان، هذا هو حال قلوبنا وحال القلب الصافي.

ده يفسر لك موقف النبي –صلى الله عليه وسلم– طبعاً بعد هذه الإلماحة أنا فيه برضه نقطة تانية محتاج أتدبر فيها شوية، العبد الصالح بصفة عامة يتأثر في حياته بما لا يتأثر به العبد غير الصالح، يعني العبد الصالح قد يُفتن بشيء يسير هذا الشيء اليسير لا يُفتن به غيره ممن ابتعد عن سبيل الصلاح. هل هذا قدح في صلاح هذا الصالح؟ أبدًا، وهل هذا مدح لحال هذا الإنسان غير الصالح؟ أبدًا، غاية ما في الأمر هي نفس النقطة اللي احناكنا بنتكلم فيها، القلب الذى أشرب البياض بخلاف القلب الذى أشرب السواد، القلب الصافي غير القلب المتلطخ، القلب الصافي أقل نقطة تؤثر فيه وتعكر صفاءه وتجد أثرها وتقع موقعها، فممكن تلاقي العبد الصالح المستقيم يتأثر بنظرة حرام بينما غير الصالح هو يلغ –براحته كده– والغ في النظر الحرام، ويقولك عادى أنا مبتأثرش يعني حاجة مبتأثرش في، إيه يعني لما أشوف واحدة كذا؟ عادي يعني، هو طبيعي طبعا هو بقى عادي لإنه تجاوز هذا بمراحل، هو عدّى مرحلة إن النظرة الحرام تؤثر في قلبه لأنه تخطى هذا فصار قلبه لا يتأثر بما يتأثر به القلب الحي القلب النابض القلب المستقيم، فعندما يقال والله الإنسان المؤمن الصالح التقي فتن بنظرة دي ما تقدحش فيه، دا ده مدح فيه وقدح في الآخر اللي بيقولك النظرة دي العابرة دي مبتأثرش في. ودي المنهجية اللي هما عايزين يستبدلوا بها منهجية الصلاح، اللي يقولك إن كتر الكبت هو اللي بيأدي إلى الانفجار، البعد عن كذا ووجود الانغلاقية والكلام ده كله هو ده اللي بيأدي بعد كده إن الواحد اللي اتربى في هذه البيئة المنغلقة ممكن يصدر منه الخطأ. طب ايه الحل عندهم؟ الحل عندهم بقى مش سد منافذ الخطأ لا، افتح الأبواب خليه يتعود على إنه يبص وإنه يتكلم وإنه يعمل وإنه يخالط وإنه وإنه هو ده الحل، ده الحل اللي هما عايزين يحطوه، إن الحل عشان متتأثرش بالنظرة إنك تغرق في ما هو فوق النظرة، الحل علشان انت ماعدش يأثر فيك شيء من الحرام اليسير إنك تغرق في الحرام الكثير، وده الفارق الرهيب ما بين منهجية المؤمن الصالح المتعبد لله –سبحانه وتعالى– وبين هذا الذي لا يبالي.

فنرجع ونقول العبد المؤمن قد يفتن بأقل القليل لماذا؟ لأنه مؤمن صالح، والقلب الصالح النقي يؤثر فيه ما لا يؤثر في غيره –وسبحان الله– القلب المتلطخ فعلاً ميتأثرش، فتخيل بقى لما يكون القلب خرب أصلًا، وصل حتى بقى خرابة هيتأثر فيه إزاي؟ بعض السلف قيل لهم إن بعض أهل الكتاب يقولون نحن لا يوسوس لنا في صلاتنا اشمعنى انتوا في صلاتكوا انتوا يا مسلمين اللي عمالين تقولوا الشيطان بيوسوس لنا وبيحصلنا غفلة في صلواتنا و و اشمعنى انتوا يعني، محدش بيوسوسلنا في صلاتنا ليه؟ فقال بعض السلف: صدقوا وماذا يصنع الشيطان بقلب خرب؟ هو هيجيلك يعمل إيه؟ نفس القضية واحد عنده خلاص قفز عدى في طريق الشبهات والشهوات و و فصار حاله قلبه انتكس دا الشيطان هيعمل معاه إيه؟ الشيطان يسيبه بقى خلاص هو بدأ معاه في الأول ثم صار هذا الإنسان يهوي في الدركات بتلقائية.

فعدم الفتنة وعدم التأثر بالشيء الحرام لا يعني أن هذا لديه مناعة وأن ذاك ضعيف المناعة. بل معناه أن هذا انسان قلبه حي وذاك قلب خرب.

وحوالين أيضاً هذه النقطة فيه موقف الحقيقة برضه استرعى انتباهي جدا في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الحديث عن المقداد بن الأسود –رضي الله عنه– قال: "أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا علَى أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فليسَ أَحَدٌ منهمْ يَقْبَلُنَا، فأتَيْنَا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ بنَا إلى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: احْتَلِبُوا هذا اللَّبَنَ بيْنَنَا، قالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ نَصِيبَهُ، قالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ، قالَ: ثُمَّ يَأْتي المَسْجِدَ فيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فأتَانِي الشَّيْطَانُ –

ابدأ بقى من هنا معايا ابدأ ركز معايا بقى قال سيدنا المقداد إيه– فأتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، خلاص كل واحد شرب ما بقى إلا نصيب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فَقالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتي الأنْصَارَ فيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ ما به حَاجَةٌ إلى هذِه الجُرْعَةِ، فأتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ في بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أنَّهُ ليسَ إلَيْهَا سَبِيلٌ، قالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فقالَ: وَيْحَكَ، ما صَنَعْتَ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فلا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إذَا وَضَعْتُهَا علَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وإذَا وَضَعْتُهَا علَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَاما وَلَمْ يَصْنَعَا ما صَنَعْتُ، قالَ: فَجَاءَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ كما كانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عنْه، فَلَمْ يَجِدْ فيه شيئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، فَقُلتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فأهْلِكُ، فَقالَ: اللَّهُمَّ، أَطْعِمْ مَن أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَن أَسْقَانِي، قالَ: فَعَمَدْتُ إلى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إلى الأعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فأذْبَحُهَا لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَإِذَا هي حَافِلَةٌ، وإذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، –وجد فيها لبن عظيم جداً– فَعَمَدْتُ إلى إنَاءٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ما كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قالَ: فَحَلَبْتُ فيه حتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ، قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ رَوِيَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حتَّى أُلْقِيتُ إلى الأرْضِ، قالَ: فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إحْدَى سَوْآتِكَ يا مِقْدَادُ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، كانَ مِن أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ما هذِه إلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ، أَفلا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فيُصِيبَانِ منها، قالَ: فَقُلتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما أُبَالِي إذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا معكَ مَن أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ".[٣]

موقف الحقيقة مش قادر أتجاوزه؛ سيدنا المقداد كان في حال؛ شَرِبْ وانتهى من طعامه، ما بقيت إلا شراب النبي –صلى الله عليه وسلم–، أتاه الشيطان يوسوس إليه يا عمي النبي –صلى الله عليه وسلم– بيروح لفلان ويروح لفلان وبيشرب هنا وهنا، أكيد يعني ماجتش على الشربة دي، وظل يوسوس له مرة وتاني وتالت ضعف، استسلم، شرب الشراب بيقول أول ما شربت وخلاص اللبن بقى نزل في بطني خلاص بقى ماعدش له سبيل أنه يرجع تاني، الشيطان بقى إيه؟ ندَّمَه، أنت عملت كذا؟ دا انت هيحصل فيك كذا وكذا وكذا، أنت عملت كذا؟ دا النبي هيأتي ويدعو عليك، فشوف أنت بقى الموقف، هو ده الموقف اللي أنا عايز أقف معاه، الشيطان لا يطمع من العبد المؤمن أن يهوي من عليائه إلى دركات المعصية مش هتحصل. مش هيأتي للعبد المؤمن وهو على حال كامل حال فيه من الإقبال والطاعة وحال فيه من الاجتهاد وفجأة كده وهو في هذا الحال هيروح قلبه يخليه من أهل المعاصي مرة واحدة. طب ايه هو التكتيك اللي بيتعامل به الشيطان؟ في منتهى البساطة تكتيك التدرج في السقوط، هو مش هيوقعك مرة واحدة لكن بيبدأ أولًا معاك خطوة بخطوة، يبدأ بالكلمة الأولانية بالخطوة الأولانية يحاول معاك.

الخطوة الأولانية التانية التالتة يبدأ الأول بالوسوسة، الوسوسة دي بتبقى نوع من أنواع الطرقات اللي بيطرق بيها على هذا الجدار اللي انت بتغلف بيه قلبك، الجدار الصافي أول ما الضربات تزيد بتبدأ تحصل شقوق، الشقوق تزيد تبدأ تفتح أكتر، تبدأ بعد كده هذا الجدار إن لم يُرَمَّم يبدأ يتصدع، يبدأ يحصل فيه فروجات ينفذ منها الشيطان، وينفذ منها الشر، وينفذ منها الغفلة، وينفذ منها المعصية، خطوة فخطوة طرقة فطرقة، وهو باله طويل لا يتعجل بك، المهم إن في لحظة من اللحظات يستطيع أن يوقع الإنسان فيما يريد أن يوقعه فيه. وبعد كده يبدأ بعد كده الدركات يوصل معاك لمرحلة زي ما قلنا هو ماعدش محتاج إنه هو يوسوس إليك ولا إنه هو يدعوك إلى المعصية، هو حط رجل هذا العبد على الهاوية وهو يهوي بنفسه. طب إيه العمل؟ العمل في منتهى البساطة إن الإنسان يكون على حال من اليقظة، يكون عارف إن هناك عدة متربص "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" الأعراف:١٦، وما العمل؟ العمل ببساطة لا بد من إيجاد المناعة الداخلية المناعة الذاتية،

[٣] صحيح مسلم



لابد من وجود أساليب حماية قبل أن يصل الإنسان إلى دركات الهاوية أي واحد منا عنده شيء من الممتلكات شيء من المنشآت تلقائياً لازم بيكون خايف عليها وبيعمل نوع من أنواع نظام الأمان، نظام الأمان ده عبارة عن نظام مراقبة وجهاز إنذار؛ مراقبة بيراقب بيها المداخل بيراقب بيها الأسوار مش هستنى لما حد يخش لي ده أنا هبدأ من بدري من بعيد مش هستناه لما يخش ويسرق ما لدي، ثم يكون فيه بعد كده جهاز إنذار بيعرفني حصل نوع من أنواع الاختراق الحق بسرعة اتصرف، فيه في المكان الفلاني حصل اختراق في الحتة الفلانية، نفس القضية يحتاجها قلب كل إنسان منا، محتاج أولا مراعاة للأسوار الخارجية مراعاة للأسوار الحامية ووجود هذه البيئة اللي بتحافظ على الهيكل الحامي للإنسان، ما هو أنا ممكن أكون عندي فعلاً المناعة وعندي أسوار وضعتها، هذه الأسوار معرضة لأن هي يحصل فيها التشققات والتصدعات، لكن لما يكون فيه هناك بيئة حامية بتتجدد هذه الأسوار المانعة وهذه الشقوق والشروخ بيحصل ليها ترميم، لكن لو أنا وضعت نفسي وبيئتي في أماكن بتزيد من الضغط على الأسوار الحامية هيحصل تصدع، ودور كذلك جهاز الإنذار مهم جداً أن يكون عندك الإنذار اللي بينبهك ولا يتركك إلى أن يتوغل الشر ويتمكن منك. هذا الإنذار؛ فيه إنذار داخلي وفيه إنذار خارجي؛ إنذار خارجي عن طريق الصحبة الصالحة اللي بتحوط الإنسان وبترعاه وبتتفقد أحواله وبتبدأ تنبهه، خلي بالك فيه كذا، خلي بالك انت حالك بقى كذا، خلي بالك انت ماعدتش بتعمل كذا، خلي بالك إحنا شايفينك بتعمل كذا، عندما يكون عند الإنسان مثل هذه اليقظة مش هيحصل بإذن الله إنه يوصل لمرحلة الهاوية، هيستطيع أن يتدارك لو حصل شيء فاته، هيستطيع إنه يستفيق إذا تمكنت منه بعض الغفلة، هيستطيع إنه يصل لمرحلة يستطيع أنه يتجاوز الكبوات، لكن مع توالي الكبوات هيكون السقوط.

فنلاحظ الحتة دي كويس جدا ومن الملامح برضه الجميلة جدا في هذا الحديث انظر إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "إحدى سؤاتك يا مقداد" شوف إزاي النبي –صلى الله عليه وسلم– يَعْلَم طبائع الأشخاص ويعلم أحوالهم ويعلم نفوسهم، شاف منه موقف آه انت عملت حاجة يا مقداد، الكلمة دي مأثرة فيّ جدا يعني شوف كيف النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلم هذه الشخصية ويعلم طبيعتها يعلم تركيبتها يعلم ما قد يكون منها من الخير وما قد يصدر منها أحيانا من الكبوات ونحو هذا، هذا ملمح تربوي مهم. نحن نفتقد لوجود هذه القدوة المربية، نفتقد لوجود المربي في حياتنا، نفتقد لوجود النموذج اللي عبارة عن معلم ومربي يقرأ الإنسان ويفهمه ويطالعه ويعلم ما به من تغيرات ويستطيع إن هو يوجهه ويستطيع إن هو يدله على مواطن الخير فيزيد منها، يستطيع أن يُشَخِّص ما به من مشاكل أو من عيوب مبكرًا ويستطيع أن يصف له الحل، تفقد الآخرين ده من الأشياء اللي احنا بنفتقدها، ومش بنفتقدها بس على مستوى النموذج، بنفتقدها على مستوى بعضنا البعض، اهتمامنا ببعضنا البعض، تفقدنا لبعضنا البعض، النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يهتم بكل من حوله يهتم بأصحابه يهتم بأهله يهتم بكل الناس.

يعني برضه من المواقف الجميلة جداً شوف هذا الموقف النبي –صلى الله عليه وسلم– كما يروى سيدنا أنس قال: "إنْ كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيُخَالِطُنَا، حتَّى يَقُولَ لأخٍ لي صَغِيرٍ: يا أبَا عُمَيْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ".[٤] أبو عمير ده كان طفل؛ أخو أنس –رضي الله عنه– طفل صغير عنده حوالى سنتين وكانوا بيقولوله يا أبا عمير، هو ده كان نوع من أنواع الدلع يعني، فالطفل الصغير ده كان عنده طائر صغير كده وبيلعب معاه فرسول الله –صلى الله عليه وسلم– يتفقد حال هذا الطفل الصغير ويعلم الطفل ده بيعمل إيه وبيلعب بإيه، لدرجة إنه يأتيه يسأله انت اللعبة بتاعتك أخبارها إيه؟ أنا عايزك بس تتخيل الموقف ماتعديش عليك مرور الكرام، شوف النبي –صلى الله عليه وسلم– في مكانته، النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما يحمله من المسؤوليات ومن الهموم ومن المشاغل والتفاصيل التي لا تنتهي، رغم كل هذا الانشغال

[٤] صحيح البخاري



العظيم وهذا الحجم للمسؤوليات وهذا القدر الرفيع لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا أنه كان لديه هذا الاهتمام والالتفات لأمر طفل صغير، هذا الطفل حتى مش ابنه دا ابن أحد أصحابه، يعني مثلاً ممكن لو ابني آه أنا مهتم بابني شوية وعارف تفاصيل حياته إنما مجرد طفل مثلاً زي ابن ابن عمك مثلاً ممكن متبقاش انت مهتم بتفاصيله، ابن جيرانك ابن أحد من أقاربك، فشوف النبي –صلى الله عليه وسلم– يهتم بهذا الولد وبيهتم بلعبة هذا الولد، شوف انت بقى تخيل هذه المنهجية التربوية التي ربى بها النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه أنه كان يحوطهم بالرعاية ويحوطهم بالاهتمام ودائماً دائم التفقد لأحوالهم، نحن نحتاج إلى هذه المنهجية لان احنا عندنا خلل كبير في منهجية التعامل خاصة لأصحاب الانشغالات، أكبر مشكلة بتواجه أصحاب الانشغالات أنهم لا يلتفتون إلى من حولهم حتى مهما كان قربهم، أصحاب الانشغالات الكبيرة لا يلتفتون لتفاصيل حياة المقربين منهم، أحياناً هذه التفاصيل تبدو في أعينهم صغيرة وبالتالي هو لا يستحق منه إنه يضيع وقته في مثل هذه التفاصيل، وده خطأ وخطر؛ خطأ لأن أصلًا المفترض يعني المعادلة الصحيحة اللي احنا نضعها في اعتبارتنا إن الشخص المقرب ليس معه شيء غير مهم، شخص مقرب زائد شيء صغير يساوى شيء مهم، كل ما كانت المنزلة أقرب كلما كنت انت مطالباً بما هو أكثر، وبالتالي وجود هذا الخلل بيؤدي إلى البعد والجفوة، بيؤدي لتقطيع الأواصر، الإنسان اللي عنده هذا الفهم الراقي في التعامل مع الآخرين هيفهم إنه هو محتاج إنه يتعاهد من هو بقربه، يتعاهده ويتفقد أواصر الصلة بينه وبينه، إحنا كلنا محتاجين أن نتفقد بعضنا البعض، نتفقد أنفسنا نتفقد من حولنا نتفقد علاقتنا، احنا فقدنا كتير جدا في حياتنا، فقدنا كتير جدا في علاقتنا، علاقتنا مع بعضنا البعض فمحتاجه لإعادة ترميم محتاجة لإعادة تأهيل، عندما نأخذ هذا الملمح التربوي الجميل من سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– هتفرق كتير في تعاملاتنا هتفرق كتير في حياتنا هتفرق كتير في أنفسنا وهتفرق كتير في بيوتنا وهتفرق كتير في مجتمعاتنا. نحتاج إلى إعادة تأهيل تربوي ومنهجي مؤصل على كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم وإلى لقاء آخر إن شاء الله.